

«رمضان» شهر الرحمة والغفران



قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الْمُبَارَكُ أُنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (البقرة/185).

لشهر رمضان المبارك قدسية خاصة بين شهور السنة الهجرية لدى المسلمين لأنّه (شهر الله)، فقد كرّم الله سبحانه هذا الشهر، فاعتبره شهر الرحمة والغفران ينقطع العبد فيه إلى خالقه في صيامه ومساهماته وقد فتحت له أبواب المناجاة والابتهاج، لطفاً منه عزّ وجلّ ليعيد صياغة نفسه في ضوء رحمة الله التي لا حد لها إذ هو القائل: (إِذْ أَعُوذُ بِنَبَّافِ لَكُمْ) (غافر/60)، وهو الغفور الرحيم.

كما يمكن أن نطلق على هذا الشهر "شهر الإنسان" لعلاقته بالإنسان مباشرة، فهو:

أولاً: في عبادته ضمن هذا الشهر الفضيل وأهمية أيامه وليلاته، وانقطاعه إلى الله سبحانه يمكن أن يبني وجوده وشخصيته كما يريد خالقه كمسلم يمثل أوامر خالقه، وينتهي عن نواهيه وبذلك يكون قد كسب موقفاً سليماً يقربه إلى الله تعالى.

ثانياً: إنّ الإنسان في حالة توفيقه لصوم هذا الشهر الفضيل يكون قد عالج جسده من تراكمات الأكل طيلة الأشهر الماضية، وأراح معدته من مضار الشحوم والمواد الدهنية الهمم والمسببة للأمراض الخطيرة التي تكون نتيجة الإسراف الخارق بالماكولات والمشروبات مما يدخل بجسم الإنسان.

ثالثاً: إنّ الالتزام بمستحبات هذا الشهر تؤكد على التواصل بين الأقرباء والأصدقاء والأحبة وبما يشد أواصر الأخوة بين المسلمين، وتؤدي إلى توادهم وتحابهم، وهذا في حد ذاته مكسب اجتماعي مهم، يدعو له الإسلام كما جاء في حديث الإمام الصادق (ع) لأصحابه: "اتقوا الله، وكونوا أخوة برة متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقو، وتداكروا أمننا وأحيوه".

إذاً شهر رمضان هو المورد لتحقيق كلّ هذه المتطلبات الدينية والإنسانية والأخلاقية وهي قيم إسلامية تحمل في طياتها الجوانب التربوية من أجل الكمال الإنساني، فالإنسان بحاجة إلى الاستفادة من

المعايير الإسلامية التي ترمي إلى إبراز أفراد المجتمع الإسلامي بما يسعده في إطار إنسانيته وتنميته.

إنّ ۝ سبحانه حين فرض أمراً على عباده فهو لصالحه قبل كلّ شيء، وحاشا له أن يفرض على عباده أمراً ما لا طاقة لهم على تنفيذه، وليس من الضوري أن تعرف تلك المصلحة فهي من اختصاصات الخالق، ولكن الذي نهدي إليه هو العامل التربوي فالملكات الحميدة لدى الإنسان والتي أودعها ۝ سبحانه في النفس البشرية تتنازعها عوامل الخير والشر، والحق والباطل، ومن أجل تنمية جانب الحق والخير لابدّ للإنسان من القيام بأعمال وتوجيهات توفر له الاستعدادات للتأهيل النفسي للحصول على تلك الملكات المانعة من تسرب الشر إلى ذهن الفرد الذي يعيش مغريات هذه الحياة المرهقة المفعمة بالإغراء، والتي تدفعه للانزلاق في مهاوي الجهل والانحراف، وقد قال ۝ سبحانه: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة/8-7)، إذاً فالملكة موجودة لدى الإنسان ويتمكن من تنميتها وتفعليها وتطويرها إلى أي جانب يشاً إلى الحق أو الباطل، أو الخير أو الشر.

واهـ سبحانه فرض شهر رمضان على المسلمين وعلى غير المسلمين قبلاً من أجل إنقاذ البشر من مهاوي الضلال، ولتعزيز ارتباط الإنسان بخالقه يقتضي السير على ما خطط له ربه، وتحقيق ذلك مرهون بعمله في الدنيا، والواقع الخارجي هي التي تحدد مساره الدنيوي بعد أن وضحتها له بكلّ جزئياتها من باب اللطف مع العباد، فالعقاب قبيح على الفرد أو الأُمّة إذا لم توضح لهما تلك المهام (إِنَّمَا هَذِهِ نِسَاهُ السَّبَيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَافُورًا) (الإنسان/3).

وبالحقيقة إنّ شهر رمضان يوفر الأجواء لل المسلم لتحلى خالله بجهاد النفس، فليس الصيام عن الأكل والشرب هو كلّ شيء، بل لابدّ أن تصوم كلّ جوارحه عما لا يرضي الله، وهو ما يطلق عليه النبي العظيم (ص) بـ"الجهاد الأكبر".

ومن هنا فإننا نستطيع أن نطلق على هذا الشهر الفضيل بـ"شهر الإنسان" بمعنى أن يظهر الفرد نفسه من أدران الدنيا الفانية، ويبعدها من أوضارها، ويطبعها على ما يرضي الله سبحانه، ويرفض عما يدنوها من الأخطار فالنفس أماره بالسوء، واهـ من وراء القصد.